

وليم شير

قيام وسقوط الرايخ الثالث

« نهاية دكتاتور »

الجزء الثاني

مندوب الاميرة
جرجيس فتح الله

دار نآراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبیب

العنوان: دار نآراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

وليم شيرر

قيام
و
سقوط الرايخ الثالث

« نهاية دكتاتور »

الجزء الثاني

فقد إلى العريضة
جرجيس فتح الله

اسم الكتاب: قيام وسقوط الرايخ الثالث «نهاية دكتاتور» - الجزء الثاني
تأليف: وليم شايرر
نقله الى العربية: جرجيس فتح الله
من منشورات ناراس رقم: ١٧١
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: دار ناراس
تصحيح: شاخوان كركوكي
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٤٩٦ / ٢٠٠٢

الكتاب الرابع

الحرب: الانتصارات الأولى ونقطة التحول

الفصل الأول

سقوط بولندا

- ١ -

في الساعة العاشرة صباحاً (٥ أيلول ١٩٣٩) تحدث الجنرال هالدنر الى الجنرال فون براوختش قائد الجيش العام، والجنرال فون بوك Von Bock قائد مجموعة الجيوش الشمالية. وبعد استعراض الموقف كما رآه في مبدأ اليوم الخامس من الهجوم الألماني على بولندا. اتفقوا على أن "العدو قد سحق فعلاً" كما دون هالدنر في يومياته. ما حل مساء اليوم السابق إلا وكانت المعركة لأجل الإستيلاء على الممر قد انتهت بإتصال جيش فون كلوگه Von Kluge الرابع المندفع من پوميرانيا شرقاً، بجيش الجنرال فون كوخلر Von Kuechler الثالث الزاحف غرباً من شرق پروسيا. وفي هذه المعركة بالذات ذاع صيت الجنرال هاينز گودريان Heinz Guderian بدباباته. ففي إحدى النقاط جوبهت، وهي تندفع شرقاً عبر الممر، بهجوم مضاد قام به لواء خيالة پومرسكا Pomorska. وقد انتقل المؤلف بعد أيام قليلة الى ساحة المعركة فطالعه منظر مذبحه يقشعر منها البدن. إنها نموذج حي للحرب البولندية القصيرة الأمد.

خيول ضد دبابات! رماح الخيالة الطويلة البولندية. مهما حُكي عن استهتارهم بالحياة وارتصاصهم الموت، فالموضوع هو أن عملية الاكتساح الألماني كانت نموذجية. تلك هي أول تجربة لهم بل اول تجربة للعالم للبلتزركريك Blitzkrieg أي الحرب الخاطفة". الطائرات المقاتلة والقاصفة تهدر فوق الرؤوس هديرًا، مستطلعة مهاجمة ناشرة اللهب والفرع. وطائرات شتوكا Stuka تزقق وهي تنقض إنقضاضاً والدبابات، ومنها فرق كاملة، تخترق الجبهة وتتوغل إلى الأمام ثلاثين أو أربعين ميلاً في اليوم الواحد. والمدافع الثقيلة الذاتية الحركة السريعة الإطلاق تسحب مسافة (٤٠) ميلاً في الساعة فوق الطريق البولندية غير الممهدة سرعة المشاة التي لاتصدق كل الجيش الذي يبلغ تعداده مليون ونصف المليون يسير على عجالات آلية بوجه وتنسق اعماله بالمواصلات الالكترونية المؤلفة من شبكات راديو وتلفون وتلغراف معقدة متشابكة. لقد كان المارد الآلي الجبار الذي لم تر الأرض مثله من قبل.

دمرت القوة الجوية البولندية في ظرف ثمان وأربعين ساعة وحطم معظم طائراتها الخمسمائة في الخط الأول بالقصف الألماني الذي باغتها وهي جاثمة في مطاراتها قبل أن تتمكن من التحليق واشعلت النيران في المنشآت الجوية وقتل معظم ملاحبيها او جرحوا. وفي ٦ أيلول سقطت كراكاو Cracow ثاني اكبر مدينة في بولندا بأيدي الجيش الزاحف. وفي تلك الليلة فرت الحكومة البولندية من وارشو الى

لويلين Lublin وفي اليوم التالي راح الجنرال (هالدر) يشغل نفسه بتنظيم خطط البدء بنقل القطعات الى الجبهة الغربية وإن لم يهجم اي نشاط حربي فيها. وفي عصر اليوم الثامن من أيلول بلغت الفرقة المدرعة الرابعة (پانزر Panzer) مشارف العاصمة البولندية في حين كان جيش (رايشناو Reichnau) العاشر الى جنوب المدينة مباشرة والمنحدر من سيليزيا وسلوفاكيا قد احتل كيلشي Kielce، ووصل جيش فون ليستت von List الرابع عشر (ساندميزج Sandomierz) وهي نقطة إتصال نهري (الفيستولا وسان). في أسبوع واحد تم القضاء على الجيش البولندي قضاءً مبرماً وأض معظم الفرق الخمس والثلاثين - وهو كل ما تسنى تعبثته في تلك المدة القصيرة - إما مشتتاً ايدي سباً، وأما مطوقاً



فون كلوگه

نتيجة حركة كماشات واسعة كانت قد أطبقت على وارشو من كل جانب ولم يبق للألمان إلا "الصفحة الثانية" من المعركة أن تضيق حبل الأنشطة على الوحدات البولندية الذاهلة المختلة النظام المطوقة تماماً ثم تدميرها، ثم اكمال حركة تطويق ثانية أوسع من الأولى بمسافة مائة ميل الى الشرق ستؤدي الى ايقاع البقية الباقية من التشكيلات البولندية في غرب (برست ليتوفسك) ونهر (بوگ Bug) في فخ لا فكاك منه.

هذه الصفحة بدأت في التاسع من أيلول وانتهت في السابع عشر منه فزحف الجناح الأيسر لمجموعة جيوش (فون) شمالاً، مستهدفاً (برست ليتوفسك) التي كانت تشكيلات جيش (گودريان) التاسع عشر قد بلغت في ١٤ أيلول واحتلتها بعد يومين. وفي ١٧ أيلول إلتقت بدوريات جيش (ليست) الرابع عشر على بعد خمسين ميلاً جنوب (برست ليتوفسك) في فلوداڤا Włodawa فانطبقت الكماشتان الواسعتان هناك. على حد قول گودريان. فيما بعد وأدى الهجوم المضاد الى نتائج حاسمة. في السابع عشر من أيلول طوقت القوات البولندية كافة عدا حفنة منها على الحدود الروسية وصمدت جيوب من القوات البولندية في مستطيل وارشو. وغرباً بالقرب من پوزن Posen وقاتلت بكل بسالة. الا انها أبيدت. وبعد أن لوحقت الحكومة البولندية أو ماتبقى منها وقصفت بدون انقطاع من الجو. تمكنت من بلوغ قرية على الحدود الرومانية في ١٥ أيلول. لقد انتهى كل شيء بالنسبة لها وللشعب البولندي الفخور. خلا أن المحتضرين في صفوف الجنود كانوا صامدين بعزم لا يصدق. حان وقت الروس الآن ليتحركوا الى البلاد المقهورة وينالوا حصتهم من الأسلاب.

روسيا تغزو بولندا

عرت الدهشة الكرملين كما عرت كل عواصم الحكومات الأخرى، للسرعة الخاطفة التي رافقت إنتصار جيوش ألمانيا في بولندا. وفي ٥ أيلول أجاب مولوتوف برد كتابي على الإقتراح النازي بمهاجمة روسيا بولندا من الشرق بأن ذلك سيشرع فيه "في الوقت المناسب" وان "هذا الوقت لم يحن بعد" كان يعتقد أن "السرعة الفائقة" قد تلحق الأذى "بالقضية" السوفيتية، إلا أنه أصر بأن على الألمان "ملاحظة خط الحدود المقرر" بدقة وحرص وهو الخط الذي اتفق عليه في شروط الميثاق السوفيتي النازي السرية^(١) وإن سبقهم الألمان في الوصول اليه، بات الشك الروسي بنوايا الألمان واضحاً وكذلك كان الشعور السائد في الكرملين بأن الفتح في بولندا قد يقتضي وقتاً طويلاً.

لكن بعد منتصف ليل ٨ أيلول بقليل، وعلى أثر وصول الفرق المدرعة الألمانية ضواحي وارشو، ابرق ريبتروب برقية "طارئة سرية للغاية" للسفير شولنبرگ، أبلغه فيها أن العمليات العسكرية في بولندا "تتطور بشكل فاق كل خيالنا" وان ألمانيا في هذه الاحوال ترغب أن تعرف شيئاً عن نوايا الحكومة السوفيتية "العسكرية"^(٢). وفي الساعة ١٠، ٤ بعد ظهر اليوم التالي رد مولوتوف أن روسيا ستتحرك عسكرياً "خلال الأيام القلائل القادمة". وفي الساعات الأولى من اليوم نفسه قدم وزير الخارجية السوفيتية تهنئة رسمية للألمان "بمناسبة دخول القوات الألمانية مدينة وارشو"^(٣).

في ١٠ أيلول تبادل مولوتوف والسفير دير فون شولنبرگ حديثاً طريفاً snofu طريف. فبعد أن أعلن مولوتوف أن الحكومة السوفيتية "فوجئت مفاجأة تامة بالإنتصارات العسكرية الألمانية غير المنتظرة" ولهذا وجد الإتحاد السوفياتي نفسه في "موقف حرج"، انتقل الى الحجة التي يترتب على الكرملين التذرع بها لدخوله بولندا وها هي ذي كما وصفها شولنبرگ ببرقيته المستعجلة والسرية جداً الى برلين: "... أن بولندا تصدعت وتقوض بنيانها، فالواجب يقضي على الإتحاد السوفياتي نتيجة ذلك، أن يخف الى معونة الأوكرانيين، والروس البيض الذين - يتهددهم الغزو الألماني [قال مولوتوف] ان هذه الذريعة ضرورية ليظهر التدخل السوفيتي مبرراً أمام الجماهير وفي الوقت نفسه لتحاشي ظهور الإتحاد السوفياتي بمظهر المعتدي".

وزاد مولوتوف، فاحتج على تصريحات الجنرال فون براوختش لووكالة الأنباء الرسمية الألمانية (د.ن.ب) إذ قال "إن العمل العسكري لم يعد ضرورياً بعد الآن في الحدود الشرقية الألمانية" قال

١- نص الجواب السوفيتي في "وثائق وزارة الخارجية الألمانية" ج٨، ص٤. طبع عدد من هذه الرسائل المتبادلة السوفيتية-النازية في "العلاقات النازية السوفيتية" إلا ان المرجع الأول أوفى.

٢- المرجع السالف الص ٣٣-٤٤.

٣- تهنئة مولوتوف "المرجع السالف ص٣٤". وعده بالقيام بالعمل العسكري ص٣٥.

مولوتوف معقباً: إن كان الأمر كذلك، وإذا بلغت الحرب خاتمها فإن روسيا لا تتمكن "من إثارة حرب جديدة". وابدأ استيائه الشديد من الموقف كله^(٤). ومما زاد في تعقيد الأمور، أنه استدعى شولنبرگ الى الكرملين في ١٤ أيلول وبعد ان أبلغه ان الجيش الأحمر سيزحف بأسرع مما قدر طلب أن يعلمه بموعد سقوط وارشو. لأن الروس يجب ان ينتظروا حتى تسقط العاصمة البولندية كيما يبرروا زحفهم^(٥). أثار القرميسار مولوتوف أسئلة محرجة. متى تسقط وارشو؟ وكم يرغب الألمان أن يلاموا على التدخل الروسي؟ في مساء ١٥ أيلول ارسل ريبنتروب رسالة بالجواب مستعجلة جداً وسرية جداً اليه عن طريق السفير الألماني. قال إن وارشو، سيتم إحتلالها خلال "الأيام القليلة القادمة" وان ألمانيا "ترحب بعمل عسكري سوفيتي الآن". أما بخصوص العذر الروسي في إلقاء الغرم على ألمانيا بسبب ذلك "وهذا ما لن يكون ابداً... وهو يخالف النوايا الطيبة الألمانية... وسيكون مناقضاً للترتيب الذي اتفق عليه في موسكو واخيراً... يجعل الدولتين تبدوان كعدوتين أمام العالم أجمع" وختم الرسالة بطلبه من الحكومة السوفيتية، تعيين "اليوم والساعة للهجوم على بولندا"^(٦).

جرى ذلك مساء اليوم التالي. وتحدث عن كيفية حصوله رسالتان لشولنبرگ كانتا بين الأوراق الألمانية المستولى عليها. وهما تقدمان صورة ناطقة لمكر الكرملين بالألمان [إبرق شولنبرگ في ١٦ أيلول] "قابلت مولوتوف في السادسة مساءً وصرح لي ان التدخل العسكري السوفيتي وشيك - وربما وقع غداً أو بعد غدٍ. ان ستالين يعقد الآن مجلس شورى مع قادة العسكر..."

واضاف مولوتوف... أن الحكومة السوفيتية عازمت على تبرير عملها بالشكل التالي: لقد تفككت الدولة البولندية ولم يعد لها وجود، ولذلك فإن كل الإتفاقات المبرمة مع بولندا باطلة: ومن المحتمل أن تحاول دول ثالثة الاستفادة من الفوضى التي عمت البلاد، ولذلك ترى الحكومة السوفيتية نفسها مضطرة الى التدخل لحماية اخوانها الأوكرانيين والروس البيض ومساعدة هؤلاء الناس التاعسين على العمل بسلام". ولما كانت ألمانيا "الدولة الثالثة" الوحيدة المحتملة، والمعنية بهذا القليل، فقد إحتج شولنبرگ: "وأقر مولوتوف أن التعليل المقترح من جانب الحكومة السوفيتية يتضمن تعريضاً قد يجرح مشاعر الألمان، الا انه يطلب منا انعام النظر في موقف الحكومة السوفيتية الحرج وألا نتشدد في هذا الأمر الصغير ونتشبه به. ان الحكومة السوفيتية لا تجد لسوء الحظ أي علة أو دافع آخر تتمسك به، مادام الإتحاد السوفياتي لم يكلف نفسه حتى اللحظة عناء الإهتمام بحالة اقليته البائسة في بولندا، ويات من الواجب عليه تقديم تبرير عالمي لتدخله الحالي، بطريقة ما"^(٧).

في الساعة ٢٠، ٥ عصر ١٧ أيلول أرسل شولنبرگ رسالة برقية أخرى "مستعجلة جداً" و"سرية للغاية" الى برلين. "استقبلني ستالين في الساعة ٢ ظهراً وصرح أن الجيش الأحمر سيعبر الحدود

٤- تقرير شولنبرگ المؤرخ ١٠ أيلول المرجع السالف الص ٤٤-٤٥.

٥- المرجع السالف الص ٦٠ - ٦١.

٦- المرجع السالف الص ٦٨-٧٠.

٧- المرجع السالف الص ٧٦-٧٧.

السوفيتية في الساعة ٦ مساءً وستقوم الطائرات السوفيتية اليوم بقصف المنطقة الواقعة شرق لثوف
Lwów لمبرگ Lembreg.

عندما احتج شولنبرگ على النقاط الثلاثة التي وردت في البيان السوفيتي، بادر الدكتاتور
الروسي "بغاية الود" الى تعديل النص^(٨).

وهكذا كان: دخل الجيش الأحمر بولندا المنهارة في صبيحة ١٧ أيلول متعللاً بأن بولندا لم يعد
لها وجود ولذلك لم يعد ثم وجود لميثاق عدم الاعتداء البولندي السوفيتي. كان ضرورياً أيضاً حماية
مصالح السوفييت ورعاية مصالح الأوكرانيين والروس البيض، والأنكى من هذا كله، أبلغ السفير
البولندي في موسكو أن روسيا ستلتزم الحياد الدقيق في الحرب البولندية! وفي اليوم التالي تلاقى
طلّاع القوات السوفيتية والنازية في (برست ليتوفسك) وهي المدينة التي قطعت الحكومة البلشفية
الوليدة قبل واحد وعشرين سنةً بالضبط رباط تحالفها مع دول الغرب وارتضت من الجيش الألماني
بصلح منفردٍ ذي شروطٍ قاسيةٍ جداً.

مع ان السوفييت كانوا الآن شركاء لألمانيا النازية في مسح بولندا العتيقة من الخارطة، فقد راحوا
الآن يظنون فيهم الظنون فجأةً. وفي المقابلة التي جرت بين السفير الألماني وستالين قبيل الزحف
السوفيتي أعرب هذا عن شكه في أن القيادة العليا الألمانية ستلتزم باتفاقية موسكو وتسحب قواتها
الى ماوراء الخط الذي تم الإتفاق عليه في موسكو (ولم يتأخر السفير عن إبلاغ برلين بذلك) وحاول
السفير التأكيد له خلاف ذلك، إلا أنه لم ينجح كثيراً على ما يبدو. وأبرق الى برلين يقول "بالنظر
لموقف ستالين المعروف جيداً بكثرة شكه، أكون ممتناً لو حولتموني الادلاء بتأكيدات أخرى من شأنها
ازالة آخر شكوكه"^(٩).

وفي اليوم التالي (١٩ أيلول) أبرق ريبنتراب الى السفير يخوله "بأن يقول لستالين أن الإتفاقيات
التي وقعت في موسكو ستحترم طبعاً. وانها تعتبر من جهتنا حجر الزاوية لعلاقات الصداقة الجديدة
بين ألمانيا والإتحاد السوفيتي"^(١٠).

وعلى أية حال فإن الاحتكاك بين الشريكين غير الطبيعيين ظل مستمراً. وفي ١٧ أيلول نشأ
خلاف حول نص البيان المشترك الذي سيبرر تحطيم الدولة البولندية. إحتج ستالين على النص الألماني
لأنه "يضع الحقائق بكل صراحة"، وقرر الإستقلال بكتابة نسخته وهي نموذج فريد من قوة الحجّة بحيث
أجبر الألمان على الرضا به وقد جاء فيه أن الهدف المشترك للألمان والسوفييت هو إعادة الأمن والنظام
في بولندا التي تحطمت بتصعد الدولة البولندية ومساعدة الشعب البولندي لتوطيد ظروف حياته
السياسية". من مفارقات الدهر أن يلقي هتلر نداً له في ستالين.

٨- المرجع السالف الص ٧٩-٨٠.

٩- تقرير شولنبرگ المرجع السالف ص ٩٢.

١٠- المرجع السالف ص ١٠١.

في البدء، كان الدكتاتوران في الظاهر يفكران في دولة بولندية صغيرة حسب النظام النابوليوني الذي قضى بتشكيل غراندوقية وارشو تهدئةً للرأي العام العالمي. لكن مولوتوف صرح في ١٩ أيلول أن السوفييت عدلوا عن هذه الفكرة وان لديهم رأياً آخر فبعد أن إحتج (للسفير) غاضباً على إهمال الجنرالات الألمان إتفاقية موسكو بمحاولتهم الإستيلاء على الأراضي التي هي من حصة روسيا، انتقل الى النقطة الأساسية: "[ابرق شولنبرگ الى برلين] لمح مولوتوف بأن الاتجاه الأول الذي تبناه ستالين والحكومة السوفيتية لإقامة دويلة بولندية قد صرف النظر عنه، والميل الآن منصرف الى تقسيم البلاد بالخط الفاصل (بيسا- ناريف- فيستولا- سان) وان الحكومة السوفيتية ترغب في الشروع بالمفاوضات في هذا حالاً"^(١١).

وهكذا ورد إقتراح التقسيم التام لبولندا وانكار اي وجود بولندي مستقل مهما كان شكله من الروس انفسهم إلا أن الألمان لم يكونوا بحاجة الى كثرة إلمح لقبول الإقتراح. وفي ٢٣ أيلول ابرق ريبنتروب الى شولنبرگ يطلب منه إبلاغ مولوتوف "ان الفكرة الروسية في إنشاء خط حدود على طول خط الأنهار الأربعة المعروف جيداً تتفق تماماً مع وجهة نظر حكومة الرايخ" واقترح أن يطير ثانية الى موسكو للبت في التفاصيل فضلاً عن "التحديد النهائي للمنطقة البولندية"^(١٢).

وأشرف ستالين بنفسه على المفاوضات وعلم حلفاؤه الألمان - كما كان حلفاؤه الأميركيان والبريطانيون سيعلمون فيما بعد - أي مفاوض صعبٍ فظَّ نَهَّاز للفرص كان. استدعى الدكتاتور السوفيتي شولنبرگ الى الكرملين في الساعة ٨ مساءً (٢٥ أيلول). وقد انذر السفير برلين في تقريره ذلك المساء، ببعض الحقائق القائمة. وعن بعض الطبخات التي تطبخ في الخفاء هنا: "قال ستالين... انه يرى من الخطأ ترك دويلة بولندية مستقلة واقترح أن يضاف الى حصتنا كل الأصقاع التي تقع شرق الخط المتفق عليه واقليم وارشو الذي يمتد حتى نهر (بُگ) ومقابل ذلك نعدل عن مطالبتنا بليتوانيا. واذاف ستالين.. إن نحن وافقنا على إقتراحه فإن الإتحاد السوفيتي سيوافق حالاً على مسألة دول البلطيق بحسب منطوق [البرتوكول السري] المؤرخ ٢٣ آب. وأنه يتوقع في هذا الأمر الدعم التام من الحكومة الألمانية. واثار ستالين الى استونيا ولاتفيا وليتوانيا بنوع خاص ولم ينوه بفنلندا"^(١٣).

كان هذا سوماً ذكياً صعباً. عرض ستالين اقليمين بولنديين سبق للألمان أن احتلوهما مقابل دول البلطيق. كان يستفيد من الخدمة الجليلة التي قام بها لهتلر بتمكينه من غزو بولندا ليحصل على كل ما يستطيع الحصول عليه لروسيا أثناء ما كان الغنم سهلاً. زد على ذلك انه عرض بهذا إستيلاء الألمان على مجموع الشعب البولندي: وهو كروسي يعلم جيداً دروس قرون عديدة من التاريخ، لقد علمه التاريخ أن البولنديين لن يخضعوا ولن يستكينوا لضياع إستقلالهم ألا فليدعهم يصدعون رأس الألمان

١١- المرجع السالف ص ١٠٥.

١٢- المرجع السالف ١٢٣- ١٢٤.

١٣- المرجع السالف ص ١٣٠.

لا الروس! وفي الوقت نفسه سيحصل على دول البلطيق التي انتزعت من روسيا بعد الحرب العظمى الأولى، وسيمنح موقعها الجغرافي أعظم حماية للإتحاد السوفياتي من هجوم مباغت ألماني (حليف). وصل ريبنتروب بالطائرة الى موسكو في الساعة ٦ من مساء ٢٦ أيلول وقبل ذهابه الى الكرملين وجد وقتاً لقراءة برقيتين من برلين شرحتا له مقاصد السوفييت ونياتهم وكانتا صادرتين من الوزير المفوض الألماني في تالين Tallinn، جاء فيهما أن الحكومة (الاستونية) قد أبلغته أن الإتحاد السوفيتي يطالب "بقواعد عسكرية وجوية" في استونيا^(١٤) "تحت اقوى تهديد بالغزو الفوري" وفي ساعة متأخرة من ذلك الليل بعد محادثة طويلة مع ستالين ومولوتوف ابرق الى هتلر أن ميثاقاً أبرم "في هذه الليلة نفسها" من شأنه وضع "فرقتين من مشاة الجيش الأحمر ولواء واحد من القوة الجوية السوفيتية في أراضي إستونيا دون الاخلال بنظام الحكم الأستوني في الوقت الحاضر". لكن هتلر وهو اللاعب الخبير في هذا الصنف من الألعاب أدرك كم تبقى لإستونيا من العمر وأبلغ في اليوم التالي أنه أمر باخلاء (٨٦٠٠٠) نفساً من رعايا الألمان في استونيا ولاتفيا^(١٥).

في المقابلة التي جرت بين ستالين وريبنتروب التي ابتدأت في الساعة ١٠ مساءً (٢٧ أيلول) وانتهت في الساعة ١ بعد نصف الليل، وضع الدكتاتور السوفيتي الألمان أمام أحد أمرين: وهما كما اقترحهما لشولنبرگ في الخامس والعشرين: الرضا بالخط المحدد الأصلي في بولندا (على إمتداد بيسا وناريف وفيسستولا وسان) مع إستيلاء الألمان على ليتوانيا، أو التنازل عن ليتوانيا الى روسيا مقابل أراضٍ أكثر في بولندا (اقليم لوبلين والأراضي الواقعة شرق وارشو) مما سيجعل الألمان مسيطرين على كل الشعب البولندي تقريباً. وحيد ستالين الحل الثاني تحييداً شديداً فأحال ريبنتروب الأمر الى هتلر ببرقية طويلة بعث بها في الساعة ٤ من صباح ٢٨ أيلول فوافق هتلر.

كان اقتسام شرق أوروبا يستغرق وقتاً ومجهوداً معقداً في رسم الخرائط وبقي المتفاوضون ثلاث ساعات ونصف ساعة أخرى من عصر يوم ٢٨ أيلول يتداولون، وتبع ذلك مأدبة رسمية في الكرملين. ثم استأذن مولوتوف وستالين ليقوما بمباحثات مع وفد (لاتفي) كان قد استدعي الى موسكو. فأسرع ريبنتروب الى دارو الأوبرا ليحضر مشاهد من باليه "بحيرة البجعة" ثم عاد الى الكرملين في منتصف الليل لمشاورة اخرى حول الخرائط وشؤون أخرى. وفي الخامسة صباحاً وقع مولوتوف وريبنتروب ميثاقاً جديداً عرف رسمياً باسم "معاهدة الصداقة وحسن الجوار الألمانية - السوفيتية" وبدا ستالين كما وصفه أحد الموظفين الألمان "ظاهر الارتياح والجدل"^(١٦). وكان من حقه أن يطرب^(١٧).

١٤- البرقيتان، الص ١٤٧-١٤٨.

١٥- المرجع السالف ص ١٦٢.

١٦- الموظف هو أندور هنكه Andor Hencke مساعد وكيل الخارجية الذي قضى وقتاً طويلاً في السفارة الألمانية بموسكو كتب فصلاً طويلاً طريفاً عن المحادثات وهو المحاضر الألماني الوحيد للجلسة الثانية من الاجتماع، المرجع السالف الملحق ١- C.

١٧- نص المعاهدة مع البرتوكول السري. التصريح الرسمي والكتابان المتبادلان بين مولوتوف وريبنتروب: المرجع السالف الص ١٦٤-١٦٨.

ونشرت المعاهدة، وكانت تهدف الى تحديد تخوم "المصالح الوطنية الخاصة" بالبلدين المتعاقدين في "الدولة البولندية السابقة" ونصت على أن يعيد الطرفان كل ضمن حدوده إشاعة "الأمن والنظام" و"تأمين حياة هادئة للناس الذين يعيشون فيها تتفق وطبيعتهم القومية".

ولكن كان يوجد الى جانبها ثلاثة بروتوكولات سرية، مثل الإتفاق السوفيتي النازي الأولي. وإثنان منها يتضمنان صفحة (شواء) المعاهدة وأولهما يضيف ليتوانيا الى "مجال النفوذ السوفيتي، ويدفع باقليمي (لوبلن) وشرق وارشو الى يد الألمان اما الثاني فقصير، ولكن واضح الدلالة: "لايسمح الطرفان كل داخل حدوده بأي حوادث شغب وإثارة بولندية الصبغة قد يمتد تأثيرها على المناطق التي يسيطر الطرف الثاني عليها. ولا يتوانيان عن قمع اي بوادرها في أراضيها. ويعلم الطرفان احدهما الآخر بالإجراءات التي اتخذها في هذا الصدد".

بهذا اختفت بولندا من خارطة أوروبا ولحقت بالنمسا وچيكوسلوفاكيا الا ان هتلر في هذه المرة لقي عونته في مسح خريطة بولندا باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. ذلك البلد الذي ظل زماناً طويلاً يتصدر قائمة ابطال المدافعين عن الشعوب المضطهدة. وكان هذا التقسيم الألماني الروسي الرابع لبولندا^(١٨). (شاركت النمسا في التقسيمات الأخرى) وهو أقطع وانكى من سوابقه طراً على قصر مدته. ففي برتوكول ٢٨ أيلول السري^(١٩). اطلق ستالين يد هتلر في نشر نظام من الإرهاب والفرع مستهدفاً القضاء على حرية البولنديين وثقافتهم وعنعاتهم القومية بأشجع الأساليب البربرية.

خاض هتلر حرب بولندا وكسبها، إلا ان الرابع الأكبر كان ستالين الذي لم تطلق جيوشه رصاصاً واحدة^(٢٠). فحصل على نصف بولندا تقريباً وعلى قلعة في دول البلطيق. وأقيم بوجه ألمانيا أحكم سد ممكن هما السبيل الى هدفين رئيسين بعيدي المدى وقطع عليه قمع أوكرانيا ولفظ رومانيا أهم ماتحتج إليها ألمانيا للصوص في وجه الحصار القاري البريطاني امتد هذا السد حتى منطقة النفط البولندية بوريسلاف-دروغوليتيس Borislav- Drogolycz فقد ظفر بها ستالين وكان هتلر يرغب فيها كثيراً. ثم تفضل عليه ستالين فوافق أن يبيع من الألمان نفطاً يوازي ما يستخرج من المنطقة سنوياً.

لماذا دفع هتلر هذا الثمن الباهظ للروس؟ صحيح أنه قبل ذلك في ٢٣ آب، لإبعاد الإتحاد السوفيتي عن معسكر الحلفاء. وليبقية خارج دائرة التطاحن المسلح. إلا أنه ما كان مرة بالمحافظ على عهد قطعه. وكان يتوقع منه الزيف وخرق الميثاق بعد أن فتح بولندا بمأثرة حرب ألمانية لاتضاهي ابداً. وأن تظلم ستالين وأرغى فيإمكان (الزعيم) التلويح له بأقوى جيش في العالم، كما برهنت حرب بولندا. لكن هل كان يستطيع ذلك؟ كلاً ثم كلا. مادام البريطانيون والفرنسيون يقفون له بالمرصاد في الغرب. ولقارعة هؤلاء وجب عليه أن يحمي مؤخرته. وهذا هو السبب الذي جعله يخرج من القضية بصفقة المغبون ويفوز ستالين بحصة الأسد. كما اوضحت أقواله ذلك فيما بعد. إلا أنه لم ينس غلظة الدكتاتور السوفيتي ومعاملته القاسية له وهو الآن يدير أنظاره الى الجبهة الغربية.

١٨- يسميه ارنولد توينبي في مختلف مؤلفاته "التقسيم الخامس".

١٩- كان تاريخ المعاهدة الرسمي ٢٨ أيلول وإن تم التوقيع عليها في الساعة الخامسة من فجر يوم ٢٩ أيلول.

٢٠- الخسائر الألمانية المعلنة رسمياً: ١٠.٥٧٢ قتيلاً، و٣٠.٣٢٢ جريحاً، و٣.٤٠٠ مفقود.